المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

قذائف النص الشعري المشرقي في نصرة الثورة الجزائرية
تأملات في نصوص شعراء بلاد الشام والرافدين

Oriental Poetic text shells to Support the Algerian Revolution
Reflections on the texts of Levantine and Mesopotamian poets

امحمد لقدي

المركز الجامعي عبد الله مرسلي– تيبازة – الجزائر

lokmoh@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/06/20 تاريخ القبول: 2022/06/23 تاريخ النشر: 2022/07/05

الملخص:

احتلت الثورة الجزائرية دوراً كبيراً في الشعر الكفاحي والثوري العربي عموما، وقد عبّر الشعراء العرب عن شعورهم القومي، واعتزازهم بالبطولات والأمجاد التي سطرها كفاح الشعب الجزائري بثواره ونخبه الطليعية، ضد جحافل الاستعمار الفرنسي الغاشم.

وهذه الورقة تكشف عن تلك الأحاسيس المشتركة، والمشاعر الفيّاضة الصادقة، التي أبان عنها القلم العربي عموما، وقلم شعراء بلاد الشام؛ وفلسطين منها، ممثلا في جمال قعوار فسميح القاسم، وانتهاء برمز الشعر الثوري الفلسطيني محمود درويش؛ ثم من سليمان العيسى فطلعت الرفاعي إلى ريّان الحلو، عن سورية؛ وختاما بالشاعر محمد مهدي الجواهري ونازك الملائكة وغيرهما من شعراء بلاد الرافدين؛ بشكل خاص .

فلقد كانت قصائدهم سلاحا معنويا فتّاكا استلهم منه أحرار الجزائر معاني الصمود والتضحية من أجل الكرامة والاستقلال.

الكلمات المفتاحية: النص الشعري المشرقي، الثورة الجزائرية، شعراء بلاد الشام، شعراء بلاد الرافدين.

Abstract:

The Algerian revolution occupied a major role in the struggle and Arab revolutionary poetry in general, and the Arab poets expressed their national feeling, and their pride in the heroisms and glories that were wrought by the struggle of the Algerian people with its revolutionaries and elites, against the brutal French colonial hordes.

This paper reveals those common feelings, and the abundant sincere feelings, which the Arab pen in general, and the pen of the poets of the Levant, expressed; Represented by the beauty of jamal Ka'war, Samih al-Qasim, and finally by the symbol of Palestinian revolutionary poetry, Mahmoud Darwish; Then from Suleiman Al-Issa, Tal'at Al-Rifai to Rayan Al-Helou, from Syria; Finally, with the poet Muhammad Mahdi Al-Jawahiri, Nazik Al-Malaika and other Mesopotamian poets; In particular.

Their poems were a deadly moral weapon from which the free people of Algeria were inspired by the meanings of steadfastness and sacrifice for the sake of dignity and independence.

Keywords:

Arabic poetic text, the Algerian revolution, poets of the al-Sham Countries (levant), poets of al-rafidain countries(Mesopotamia).

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

مقدمة:

لقد كان لـــ"النص الشعري المشرقي"، من الرمزية ما جعلته أقوى وأشد من السلاح والرصاص والدبابات وهو يواجه الاستعمار. وتعتبر القضية الجزائرية من أبرز القضايا التي هزت كيان الإنسان العربي في العصر الحديث، لأنها زادت من وعي الإنسان العربي على أن يتحرر من سلطة المستعمر بكل أشكاله، ولقد تجاوب الوجدان العربي أيما تجاوب لأنها ثورة شعب أراد أن يحقق حريته واستقلاله.

ولقد شعر المثقفون العرب بمسؤوليتهم تجاه الثورة الجزائرية، التي أعلن شعبها عدم الخنوع والخضوع للاستعمار الوحشي البغيض. أدركوا فعلا أنهم مسؤولون أمام ضمائرهم، وأمام العالم، وأمام الله أيضا، عن صيانة حقوق الإنسان وكافة المبادئ الإنسانية السامية التي أقرتها البشرية في كل الأقطار العالمية، وبخاصة في الدول العربية والإسلامية.

وأصبح من الطبيعي أن ينفعل ويتفاعل شعراء العرب مع الأحداث السياسية وقضايا الشعوب العربية، وكفاحاتها ونضالاتها الوطنية وثوراتها التحررية.

ولقد احتلت الثورة الجزائرية دوراً كبيراً في الشعر الكفاحي والثوري العربي عموما، وقد عبّر شعراء الشعوب العربية عن شعورهم القومي، واعتزازهم بالبطولات والملاحم التي سطرها الشعب الجزائري وثواره ونخبه الطليعية، ضد جحافل الاستعمار الفرنسي الغاشم.

فكيف كان وقع قوافي بلاد الشام والرافدين في نصرة القضية الجزائرية؟ وما الآثار الإنسانية والوجدانية التي تركها في قلوب الجزائريين المقهورين بذلّ الاستدمار الفرنسي الوحشي؟

وإننا من خلال هذا المقال نسعى للوصول إلى جملة من الأهداف أهمها:

– الحضور الشعري العربي عموما، وشعر الشام والعراق في ساحات الوغى الأدبية، بشكل خاص.

– بيان اللحمة المعنوية التي أبان عنها أولئك الشعراء من خلال تمجيدهم للثورة الجزائرية.

– التأثر الكبير الذي تجسد في الرمزية الشعرية تارة، وفي الوصف الحقيقي للثورة الجزائرية زمانا ومكانا وشخصيات، تارة أخرى.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

– قيمة الدفع المعنوي الكبير الذي حققه الحضور الشعري المشرقي عموما، وشعر بلاد الشام والرافدين خصوصا في نصرة الثورة الجزائرية.

إن قضية الجزائر وثورتها مع فرنسا– كمال يقول بعضهم– ليست قضية شعبين متخاصمين أحدهما شديد القوة عظيم البأس، والآخر أعزل لا يملك من وسائل الدفاع إلا أيسرها وأهونها؛ ولكنها شيء آخر أعظم من هذا،..، إنه ذاك الضمير الإنساني الذي أصابه التبلّد، والجمود، والانهزامية،..

وكم خطّت الأقلام وكتب الكتّاب لعزّة الجزائريين وبسالتهم، وكم كان إعجابهم بتلك البطولات الخالدة لجهاد الجزائريين في سبيل تحرير وطنهم، وصمودهم في وجه جيش غاشم مجهز بأحدث آلات الحرب، وعن صلابتهم في وجه أبشع وأشنع ضروب التعذيب التي تجاوزت في بشاعتها أساليب النازيين التي لن يطوي التاريخ أبدا ذكرها للأجيال.

فبينما كانت الطائرات والمدافع تحاصر وتقصف بلا هوادة الأجساد والشوارع والأشجار وكل ما هو إنساني وحضاري على الأرض الجزائرية؛ انطلقت أصوات الشعراء، هنا وهناك، لتهتف للمقاومة وتسجل الصمود الأسطوري للثوار الجزائريين، الذين هبوا وانتفضوا دفاعاً عن كرامة وشرف بلادهم، من أجل تحريرها من ربقة الاحتلال وبراثن الظلم.

ولا غرو– والحال كذلك– في أن يعبّر الشاعر (مفدي زكريا) عن الثورة وما أحدثته بقوله:

ما للجزائر ترجف الدّنيا لها والكون يُقعَد حولها ويُقامُ

وهو نفسه الذي أثنى على البلاد العربية قاطبة حينما هبت شعوبها لنصرة الجزائر، وقد عبر عن ذلك أحسن تعبير، فقال في إحدى قصائده:

نسبٌ بدنيا العُرب زكّى غرسَه ألمٌ فأورق دوحُــه وتفــرَّعَــا

سببٌ بأوتار القلوب عروقُــهُ إن رنّ هــذا رنّ ذاكَ ورجَّــعَا!

إمّا تنهَّد بالجــزائر مُوجَــع آسى الشَّأمُ جراحَــه، وتوجَّــعَا!

واهتزَّ في أرض الكِنانة خافقٌ وأَقضَّ في أرض العــراق المضجعَا![1]

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

إلى أن قال:

تلك العروبةُ إن تُثــرْ أعصابُها وَهَنَ الزمانُ حيالَها وتضعضعَا!

ومن هناك يذكر الشاعر (الربيع بوشامة) شعبه بماضيهم وبأجدادهم الذين خضعت لهم الرقاب، مبديا مشاعر التحسّر وعدم الارتياح وعدم الرضا لما آل إليه الجزائريون، فالحياة الكريمة لا تكون في ظل الاستكانة والخضوع، بل إذا تخلص من قيود الذل وأغلال الهوان..؛ فيقول:

أراكـــــم نسيتم عهــودا مضت عهــود أمــيـــة أو تغلـــب
فـــثوروا على الظلم مثل جدود عنا لـــــهم الغرب في الأحقب
فـــــكم حطمــوا معقلا شامخا وســـادوا من السؤدد الأعجب [2]

2. مع شعراء الأرض المحتلة:

والجزائر بنضالها التحرري أصبحت رمزاً للثورة والحرية، وحاملة شعلة الاستقلال والسيادة الوطنية، وهذا أحد أبناء فلسطين البررة الشاعر (جمال قعوار) ، يسجل موقفاً متميزاً من خلال انفعاله بالحدث ويصرخ غاضباً:

النارُ في قبضتي النـــــارُ في غضبتي النـــــارُ في ثورتي تحرق القــدرا
أرض الجزائــر ساحات مخـــــضبّةٌ أديمـــــــها مخبوءاً لها ومنتــظراً[3]

وأما الشاعر (حنا أبو حنا) فإنه سجل، هو الآخر، موقفه الحازم والحاد الرافض لممارسات قوى الاستدمار الفرنسي الهمجية الوحشية، وأعلن دعمه للشعب الجزائري في كفاحه ومقاومته وثورته؛ فقال في قصيدة طويلة اسمها: "رسالة من مناضل جزائري إلى ولده":

ولــدي! لأجلك قد حملتُ سلاحي ولأجلِ رَغْدكَ ثورتي وكــفاحي
ورأيتُ شعبي سيلَ نارٍ دافـــقٍ متوثّبٍ فـــي موكب الأريـــاح
وإذا اللهيب بريقُ عينك ساطعــا وعيونُ شعبـــي الثائــر الطمّاح
فلأجل تحرير الجزائر ثورتـــي ولأجل رغدك وثبتي وكفاحـــي [4]

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ويأتي صوت (سميح القاسم) المشحون بالغضب الثوري، ليسأل فرنسا الدّعيّة، ثم ليؤكد بأن الأرض الجزائرية هي أرض عربية، قائلا :

يا فـــرنسا هـــذه الأرض لنا كيف تمسي أرضـــنا للغربـــاء؟ [5]

ويتبعه الشاعر (راشد حسين) ليسلك المنهج نفسه في الوقوف إلى جانب الشعوب المقهورة، وليعلنها صرخة مجلجلة في وجه قوى البغي والقهر والظلام، مؤكداً أن النصر حليف الشعوب المضطهدة والثائرة دائماً، فقال في قصيدته: " الثوار ينشدون":

سنُفهمُ الصخر إنْ لم يفهمِ البشرُ أن الشعوب إذا هبّتْ ستنتصـــــرُ

دمُ الجزائر صدرُ الفجـــرِ كعبتُه ونارُه فوق صدر البغي تستعـــرُ

فالثائرون على جلاّدهـــم دمهـــم بحرٌ وأشلاؤهم في وســـطه جزرُ

شعب تمطّى فـــلا قيـــدٌ يكبّلـــه ولا تغيّـــبه في صدرهـــا الحفرُ [6]

وأما دم الأحرار أينما كان، وقيمة الحرية أنى وجدت، فتلك وغيرها يجيب عنها الشاعر (حبيب بن نوفل قهوجي)، في قصيدته "دم الأحرار"، قائلا:

دمُ الأحرار لم يذهب هبـــــاءَ بمعتكر الدّجى أمـــسى شهابا

يقول الشعب في عَنَتِ الليالي إلـــــى حـــــريةٍ تَخِذتْ كتابا

ولم يقف عند شعراء بلده، بل تعدّاهم ليستنهض همم أبناء الرافدين أيضا، وليشعرهم بهول ما يجرّه الاستعما، أيا كان هذا الاستعمار، مهما اختلفت ألوانه وتعددت أشكاله، ويضرب لهم المثل ببطولات الشعب الجزائري الذي لم يهدأ له بال، ولم تقرّ له عين مذ أن جثمت فرنسا بزعانفها الخبيثة على أرض الطهارة والخلود؛ يقول:

فيـــا شعـــب العراق إلامَ نـــومٌ يحـــدُّ تمـــرّد الطغـــيـــان نابا

إلى أن قال، وهو يستنهض عزائم بلاد العرب مخاطبا إياها:

فدونك في الجزائر كيف تُمحى جيوش البغي تعطينا ضرابا [7]

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

وأما رمز القصيدة الفلسطينية الشاعر (محمود درويش) فكان يحس بأن الجزائر موطنه، وشعبها هو شعبه، وهو الذي يقول عن أرض الجزائر:

أصدقائي

أقربائي

في حقول النفط والزيتون

في أرض الدماء

سفحوها بسخاء

لتروي غرسه الفجر

التي تنبت في ليل الدماء [8]

وها هو كذلك يفتخر بجبال الأوراس، وبالدور الكبير الذي لعبته أيام الثورة، حيث انطلقت منها أولى رصاصات النصر والتمكين، فيقول:

في بلاد كل ما فيها كبير الأبرياء

شمس افريقيا على أوراسها قرص إباء

وعلى زيتونها مشنقة للدخلاء [9]

3. مع شعراء بلاد الشام:

لقد ارتبط ذكر الشاعر الكبير (سليمان العيسى) مع الجزائر، حيث استحق لقب "شاعر الثورة الجزائرية" عن جدارة، وتحدث في قصائده عنها بإسهاب وخلّدها أحداثاً وشخصيات، وله فيها سبع وثلاثون قصيدة، تعتبر من عيون الشعر العربي الثوري الملتزم.

وهو الذي يقول: "زرت الجزائر، أول مرة، أثناء انعقاد المؤتمر الثقافي الإفريقي الأول في الجزائر العاصمة بدعوة من الحكومة الجزائرية. كنت في لهفة إلى رؤية أرض الثورة...أرض المليون ونصف المليون شهيد. لم يتح لي شرف المساهمة في الكفاح المسلح إبان الثورة، فقاتلت مع إخوتي الثوار بشعري وقلمي. ثم زرتها مرة ثانية في عيد الاستقلال

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

العاشر بدعوة من الحكومة الجزائرية برفقة زوجتي... وكانت قد ساهمت معي في ترجمة عدد من آثار بعض الكتاب الجزائريين إلى العربية أثناء الثورة منها: "الجثة المطوقة"، ورواية "نجمة" لكاتب ياسين، و"الشقاء في خطر" لمالك حداد... لا تستطيع السطور أن تسجل انطباعاتي خلال الزيارة الأولى" [10].

وقصيدة "ميلاد شعب"، واحدة مما ذُكر، ألقيت في العاشر من يوليو 1955، ألقيت في مهرجان الخطابي الضخم الذي أقيم في دمشق تأييدا للثورة الجزائرية، ونشرت في جريدة "ألف باء" التي تصدر في دمشق. كان الشاعر لم يزر الجزائر بعد؛ قال فيها:

لم أرها.. هذه الأرض التي تسقي الصباحا

ثم يقول:

في عروقي أنت، في آهاتنا، في كل خاطر

يا دوي الصيحة الحمراء في قلب الجزائر

لا تعاتبني، تمنيت لو أني جرح ثائر

طلقة حمراء، لحن في فم الثوار هادر

في الهضاب الشم، حيث الموت عرس وبشائر

بوميض النار تروى قصة المجد حناجر

بوميض النار..يملي نفحات الخلد شاعر

ثم يقول:

لم أزرها أرض أجدادي التي ماجت رعودا

غير أنـــــي لم أعش في خلجة عنها بعيدا

تـــتخطاهـــم ضحايانـــــا سهـــولا ونجودا

وليقيموا ما يشاؤون على الرمال حدودا

يصل الأجيال يمحو البعد يجتاح السدودا

ثائر يهوي على أرض البطولات شهيدا

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ثم يقول:

أيها السفاح، ضاق الغدر بالجرم الرهيـــب
لحظة وانقضّ بركان مــن النيــران فاجــر
صمتوا كي ينطقوك اليوم يا أرض الجزائر
لم يعد في وطني في ساحات الفتح عبيد
فـــي ذرى الأطلس فجر راح ينشقّ جديــد
ألــف سفاح على خفقته البكر يبــيــد [11]

وها هو ذا يقف وقفة إجلال واحترام للشهيد الجزائري البطل "زيغود يوسف"، قائد هجوم الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955 مخلدا واقعة استشهاده، حيث يقول في مطلعها:

صمتٌ على الوادي يروّع الوادي وسحابة من لوعةٍ وحِدادِ

وينتقل إلى البطل "زيغود" واصفا ومتأثرا، قائلا:

يا سَفْحَ يوسُفَ، يا خضيبَ كمينه يا روعة الأجداد في الأحفــاد
يا إرْثَ موسى في النسور وعُقبةٍ والبحرُ حولك زورق ابن زِيّادِ
يا شمْخة التاريخ في أوراســـنا يا نبع ملحمتي بثغــر الحادي
أتمـــــوتُ تاريخ الرجولة فِــرْيةٌ كبرى إذن ووضاءةُ الأمجادِ
أتموتُ كل حَنيَّـــةٍ بجزائـــــري ميلاد شعب رائعٍ ميــلادي [12]

وأما الشاعر (ريّان الحلو) فقد قال في قصيدته "ثورة الجزائر" التي نظمها في1957/7/7:

يا دهـــرُ قفْ لا تجرِ شمسك فوقنا إن لم تكـــــــن بحقوق شعبيَ مؤمنا
الشــرق فينا قــد أُذلّ عــراقـــه والغرب فــي كَفَنِ الجــزائر كُــفِّــنا
والقلــب تأخـــذه السقام ألم تزل قدسُ العروبـــة للأذلـــة مسكنا ؟!

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ثم ينتقل ليحيّي صمود الشعب الجزائري وثباته أمام آلة الطغيان، ويختم كلامه بإكبار وتعظيم ما تركته الجزائر للعروبة من فخر واعتزاز:

أرضَ الجزائــر ألفُ ألفُ تــحية إن انتصــارك يا جزائرُ هــزّنا
إنّــي لأكبر أن أراكِ جريــحة وأرى تجاهــل حــقّ شعبك بــينا
لا بأس يا شعب الجزائر واعــلمنْ أن ليس تحــقيق الأماني هيّنــا
ولأنت أجدر مــن يلقّن فاجــراً أقسى الدروس فــلا وهنــتِ ملقّنا
يا فخر تاريخ الشعوب مناضــلاً شعــب ونى منه الممات وما ونى
الله أكبــرُ يا عــروبــةُ واهتــفــي إنّا خطــطنا بالــدماء خلودَنا
عاشتْ بطولاتُ الجزائــر وليعشْ شــعب بهمّته الثريــا استــوطنا [13]

ولم يغب الصوت الأنثوي عن مخيال الشعر التحرري القومي، فالمرأة الشاعرة قد يحالفها الحظ في إبراز المكنونات الوجدانية أكثر من الرجل، ولا يحس بالمرأة إلا المرأة، كما قيل.

ومن الشاعرات الثائرات (عزيزة هارون)، المتوفاة عام 1986م، التي استطاعت أن تُسمع وتوصل آهات وأنات المرأة الجزائرية المجاهدة، من أمثال (حسيبة بن بوعلي) و(جميلة بوحيرد) وأخواتهن، خارج حدود الجغرافيا. ومن ذلك قولها بلسان جزائرية مناضلة:

لم لا أثــور وكل شيء ثائــرُ ضجّت براكيني وضجّ سُعاري
أنا ثورة الدنيــا على آلامها أنا نقمة الدنيا علــى الأشرار
يا جرح خولة في جراح نُسيْبةٍ ونضال كــعبٍ في نضال نزار
أرفيــقــة الثــوار ألف جميلة في دفعــــة التيــار كالتيار

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ثم تعلن الشاعرة رفضها للواقع العربي المتشتت والمتخاذل في مواجهة الطامعين بالأرض والثروات..؛ فتقول:

ما دمنا نرقص فوق جثث القتلى

ما دمـــنا نأكل مـــــن عفـــن الأرض

ما دمنا لا نعرف كيف الرفض

سنموت بنار الحقد ونار البغض [14]

ومن سمات نهج (عزيزة هارون) الفني أنه يعتمد على تلوين هذه المعاني بوهج عاطفتها الأنثوية الرقيقة المرهفة، واعتماد لغة القلب والمشاعر في تقديمها، وقد حطمت حدة الجلجلة الخطابية التي كانت تسم الشعر القومي والوطني لدى شعراء تلك المرحلة أمثال: الزركلي، وبدوي الجبل، باستخدام مفردات رقيقة مشحونة بالانفعال العاطفي.

وأما الشاعرة الأخرى، فهي (طلعت الرفاعي)، التي أبدت في شعرها تفاعلها مع أحداث الثورة الجزائرية، مما نقلها لأن تتصور نفسها بطلة أسيرة في الجزائر، لتنال الشرف والرفعة اللذين حظيت بهما أختها الجزائرية، فتقول:

أنا هاهنا من غرفة في السجن مظلمةٍ رهيبهْ

هذي السطور أخطها في صمت وحدتيَ الكئيبهْ

ثم تطرح ما يتبادر إلى أذهان المنهزمين والمتقاعسين عن أداء واجبهم تجاه أوطانهم، مفضلين العيش في هناء وغفلة، فتقول:

ما ضـــرنـــــي لـــو لـــم أثر وبقيـــــت فـــــي بيتـــي رهـــيـــنه؟

أغفو على الريش الوثيـــــــ ـــــــــــر وأحتسي الكأس الرقيقه ؟

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

غير أنّ متع الحياة مع المحتل مُرّة بطعم العلقم، والمرأة والرجل في هذا الشعور سواء، لذلك تجيب المتسائل عن أسباب تضحيتها بقولها:

لا يا رفيق الدرب لم أخلق لكي أحيا ليومي

درس الفـــــدا أخذته عـــــن والدي وخالي وأمي

ولقائـــــل مـــــا شـــأنها ولكل هذاك العـــــذاب؟

بي مثل ما بك من هوى الأوطان من حب الكرامه

إمـــّا حيـــاة عـــزّ أو موتٌ بـــه معنى السلامـــه [15]

4. مع شعراء بلاد الرافدين:

لم تغب عن شعراء بلاد الرافدين قضية الجزائر لحظة واحدة، رغم الويلات والنكبات، ورغم التفكك والتمزق الذي تسبب فيه الإنجليز ومن كان في حلفهم؛ فكانوا على ما ترجم من الأخبار في ساحات الوغى متابعين منددين، بل إن بعضهم تمنى أن يستشهد مع إخوانه الثوار المجاهدين، لما للثورة الجزائرية من وقع وأثر لا يستهان بهما في تحقيق الحلم العربي، الذي كان ينشده الشعراء في قصائدهم.[16]

يقول الدكتور عثمان سعدي: "يقول صديقي المرحوم حميد فرج الله، في فقرة انطباعه عن الثورة الجزائرية في هذا الكتاب :لقد كنا نتتبع أخبار الثورة الجزائرية وثورات الوطن العربي الكبير أولاً بأول، وذلك عن طريق مختلف وسائل الإعلام: إذاعات ومجلات وصحف .وكنا نهتزّ لكل نبأ وننفعل بكل خبر. كنا ونحن هنا بالعراق نعيش أحداث الثورة في الجزائر: نهتف لكل حادث انتصار للثورة، ونتميّز غيظاً لكل نبإ استشهاد أو أسر أو سجن للثوار والمواطنين.

وكنا نجسّد مشاعرنا في احتفالاتنا بثورة الجزائر بتصفيق وهتاف وخطب وقصائد تنفجر في أعماقنا فتنساب على أفواهنا شعراً ونثراً نساهم به في الثورة ولو من بعيد، حيث لم نستطع المساهمة بحمل السلاح في ساحات الجهاد والمعارك." [17]

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ففي قصيدة "الجزائر" لـــ (محمد مهدي الجواهري) نجد ذلك التشجيع والتحميس، ومن مطلعها يقول :

رِدِي علقَم الموتِ لا تجزعـــي ولا ترهبي جمرةَ المصـــرَعِ
فما سَعُرَتْ جمـــراتُ الكفـــاحِ لغـــيرِ خليـــقٍ بهـــــا أروعِ
دعـــي شفراتِ سيـــوفِ الطغاةِ تُطبّقُ منكِ على المقطـــــعِ
فأنشـــودةُ المجـــدِ ما وقّعـــتْ على غيـــر أوردةٍ قُـــطّـــــعِ

ويقول صابّاً جام غضبه على فرنسا الظالمة المتوحشة، ومبيناً كذبَها وافتراءها في ادّعائها صون الحقوق والحريات:

جزائرُ سامَكِ خسفَ الهوان شـــرعٌ لمثلـــك لم يُشـــرعِ
وسفرٌ به الْمُثُلُ الصـــــالحا تُ رُدَّت إلى الخلق الأوضع
أذيلـــت صحائفـــــه النيرا تُ وديست وليثت بمستنقع
مشت لك "باريس" أم الحقو ق! وحشاً يدب على أربعِ
"فرنسا" وما أقبح المدّعَى كِذاباً وما أخبـــــث المدعِي
فـــداء لمقصـــلة الثائرين مجازر للشيب والرضـــــع
لك الويل من رائم أُطعمت دم الراضـــعيـــن ولم تشبعِ
لك الويل فاجرةً علّقت "صليبَ المسيح" على المخدع [18]

وها هي الشاعرة (نازك الملائكة) تصور مكانة البطلة الجزائرية جميلة بوحيرد في قلوب العرب حين علموا بما لاقته هذه البطلة في سجون الاحتلال، وبقدر ما تعبر عن العجز عن تحريرها وتخليصها من العذاب والإهانة، تصور أشكال التنكيل الذي تعرضت إليه دون أن تتنازل عن مبدئها، وهي المرأة التي كان يعتقد ضعفها وخوفها، وإذا بها لبؤة شرسة في وجه الذئاب والضباع.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

وتحاول كذلك أن تواسي البطلة بآثار ذلك التعذيب وذلك الصمود المضاد في إذكاء روح التضامن مع "جميلة"، ومع كل جزائري يجابه القوة العاتية، فتقول في قصيدة: "نحن وجميلة:"

هم حمّلوها جراح السكاكين في ســـــوء نية
ونحـــن نحمّلها فـــــي ابتسام وحســـــن نية
جـــراح المعـــانـــي الغـــلاظ الجهـــــوله
فيا لجـــــــراح تعمق فيها نيـــــوب فرنسا
وجرح القرابة أعمق من كل جرح وأقـــسى
فـــوا خجلـــتا من جراح جميـــــــــــــله! [19]

وفي هذه القصيدة الرمزية نفسها شعور مر، وذنب أشد منه مرارة تظهره "نازك" الإنسانة، بأننا–معشر الأدباء– لم نفعل شيئاً لنصرة الجزائر سوى الكلام:

جميلةُ. تبكينَ خلف المسافات، خلفَ البلادْ
وتُرخين شَعرَك، كفَّكِ، دمعَكِ فوق الوسادْ
أتبكينَ أنتِ؟ أتبكى جميلة؟
أما منحوكِ اللحونَ السخيّاتِ، والأُغنياتْ؟
أما أطعموكِ حروفاً؟ أما بذلوا الكلماتْ؟
ففيم الدموعُ إذن يا جميلة؟
ونحن منحنا لوصف جراحكِ كلَّ شفَةْ
وجَرَّحَنا الوصف خدَّشَ أسماعنا المرهفةْ [20]

ومن رمزية الشخص إلى رمزية المكان؛ ففي قصيدته" الطريق إلى قسنطينة" يعبر الشاعر (سعدي يوسف) عن استعداده لبيع مكتبته ليشتري بندقية، وليكون جنديا بهذه المدينة، فيقول:

أنا لستُ أملك بندقيه...
لكنهم لو يسمحون هنا لأسرعنا إليك
ولبعتُ أوراقي ومكتبتي وجئتُ ببندقيه

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ولكنتُ جندياً لديك
أمضي أُقاتلُ فى المدينه
من أجلِ أطفالِ المدينه
ولوجهكِ العربيِّ، يا ضوءَ الشمال

وأما مدينة وهران فقد ألهمت بطولاتها الشاعر (حميد فرج الله)، الذي كثيرا ما أشاد بالثورة الجزائرية في شعره الثوري، وها هو يهنئ وهران بعد النصر على الاستعمار، قائلا:

بُشــراكِ وهــران حيّا اللهُ وهـــــرانَ هيا احصُـدى ثمـــــرات النصرِ ألـــوانـا
يجـنـــي الثمـــارَ ثمارَ المجدِ يانـــعةً مَـــن يزرعُ الأرضَ أبطالاً ونيـــــــرانا
نحن الذين غمرنا الأرضَ من دمـــــنا فـــــــــأثمرَ النصرُ من أشلاء قتـلانـا
للّهِ طلابُ مجـــــــدٍ لن يضيـــعً لهم حـــقٌ وما عرفـــــوا فـــي الحقّ خِذلانـا
للهِ درّك مـــن شـعب تثـور بـــــهِ حميّةُ العُـــــــرب ما لانت ومـــــا لانـا
يستبسلُ الصيـدُ من أبطالـهِ أبـــــداً لا يرتضون لـــه ذُلاً وإذعانـــــــــا
بوركـــتِ يا قلعـةً للعُـربِ صامـدةً وبارك اللهُ مـــن وهـران شُبّـــــانـا [21]

لقد أعطى الشعر العراقي للثورة الجزائرية الكثير، وجعلها في طليعة الموضوعات القومية، فشغل بها ابتداء من تفجرها حتى الاستقلال؛ ومن هؤلاء الشاعر (عبد المنعم الفرطوسي)، ويكفي أن نشير إلى قصيدته التي عنونها "الجزائر"، وفيها يقول:

يا أمة الشرف المجيد ذودي عن الأوطان ذودي
هـبـي إلـــــى استقـــــلالك الغالـي مرفـرفـة البنـــــود
وخذيـــه مخـــــضوب القوادم من دم الشعب النجـــيـــد
فـي تـــــــربة ورث الجهاد بها البنـون من الجـــــدود[22]

إن الشعراء العرب اعتبروا الاستعمار عدوا واحدا لجميع البلاد العربية، واعتبروا كفاحهم ضده كفاحا واحدا، بما أتيح لهم من إمكانات ووسائل، والشعر منها بخاصة؛ ذلك "لأن وحدة الأوضاع والعوامل المؤثرة فيها تجعل الشعر الوطني لايصور أوضاعا إقليمية بقدر مايعكس جوانب من صورة تشمل العالم العربي، ويكمل بعصها بعصا".[23]

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

5. الخاتمة:

فهذا غيض من فيض، وقطرة من محيط للشعر العربي الذي نافح وكافح من أجل الحرية والكرامة لكل شعوب الدنيا، وبخاصة إذا تعلق ببلد يقاسمه تاريخا وهوية ولغة ومصيرا مشتركا كالجزائر.

نعم، لقد حمل الشعر قبيل الثورة إرهاصاتها، معبرا عن النقمة والتململ الرّافض، فصوّر الأوضاع الفاسدة والقلق والتوتر، وساهم في الوثبة، مجاهرا بتسميتها وثبة كفاح وحرب، بعد أن قصر الكلام والحوار السياسي في تحقيق الهدف.

والشعراء في عملهم هذا، قاموا بفضح دسائس الاستعمار، واتجهوا إلى الرمز والمناجاة، حين لا يجدي التصريح، ولا تنفع المواجهة، وأعلنوا عن التذمر والسخط من الأوضاع المتردية والمتدهورة أخلاقيا وسياسيا ونفسيا. فاستطاعوا أن يفعلوا ما لا تفعله الدبابات والمقنبلات، وصوروا الشعوب المحررة أحسن تصوير.

6. الهوامش:

1- مفدي زكريا ، الديوان (اللهب المقدس) ،2007، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر.ص57.

2-وهاب قارة، الثورة الجزائرية في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي،2021/2020، ص26-27.

3-رمضان حينوني، الثورة الجزائرية في الشعر العربي الحديث، مجلة إشكالات، المركز الجامعي تمنراست، 2012، ص114ومابعدها. ينظر: هجرس خضراء، استلهام الثورة الجزائرية في الشعر العربي "القيم والأبعاد"، مجلة دراسان إنسانية واجتماعية، جامعة وهران02، 2020.

4-رمضان حينوني، المرجع السابق، ص115.

5- رمضان حينوني، المرجع السابق، ص115.

6-ليلى بورصاص، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، 2204، الدار المصرية اللبنانية، ص84.

7-ليلى بورصاص، المرجع السابق، 85.

8-محمود درويش ، الديوان ، المجلد 1، دار العودة، 1994، بيروت ، ط 14 ، ص 342

9-عبد الله الركيبي، الأوراس في الشعر العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1982، ص 15، 16.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

10– عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الحرية للطباعة، العراق، 1981م.ص152.
11–عثمان سعدي، المرجع السابق، 153.
12–عثمان سعدي، المرجع السابق، 155.
13–عثمان سعدي، المرجع السابق، 165.
14–عثمان سعدي، المرجع السابق، 166.
15–عثمان سعدي، المرجع السابق، 167.
16–علي القاسمي، أيام الحلم والثورة، قراءة في كتاب الدكتور عثمان سعدي، مجلة العرب الأسبوعي، العدد24، 2008، ص42.
17– عثمان سعدي، المرجع السابق، ص11.
18–عثمان سعدي، المرجع السابق، 11–12.
19–عثمان سعدي، المرجع السابق، 11–12.
20–أكرم حمدان، دعوة للتواصل اللغوي بين المشرق والمغرب العربيين، مجلة الحوار اليوم، http://www.alhiwartoday.net/node/4675
21– عثمان سعدي، المرجع السابق، ص64ومابعدها.
22– وهاب قارة، رسالة دكتوراه، المرجع السابق، ص44–45
23– محمد ناصر بوحجام، محاضرات عن الثّورة التّحريرية الجزائرية، نشر جمعيّة التّراث، الجزائر، 2011، ص24ومابعدها.

7. قائمة المراجع:

1–عبد الله الركيبي ، الأوراس في الشعر العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1982.
2– عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الحرية للطباعة، العراق، 1981م.
3– ليلى بورصاص، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، 2004، الدار المصرية اللبنانية.
4– محمد ناصر بوحجام، محاضرات عن الثّورة التّحريرية الجزائرية، نشر جمعيّة التّراث، الجزائر، 2011.
5–محمود درويش ، الديوان ، المجلد 1، دار العودة، 1994، بيروت ، ط 14 .
6–مفدي زكريا ، الديوان (اللهب المقدس)، 2007، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 64 – 80 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

– رسائل جامعية ومقالات:

7– رمضان حينوني، الثورة الجزائرية في الشعر العربي الحديث، مجلة إشكالات، المركز الجامعي تمنراست، 2012، ص114ومابعدها.

8– هجرس خضراء، استلهام الثورة الجزائرية في الشعر العربي "القيم والأبعاد"، مجلة دراسان إنسانية واجتماعية، جامعة وهران02، 2020.

9–وهاب قارة، الثورة الجزائرية في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي،2021/2020.

– مراجع إلكترونية:

10–أكرم حمدان، دعوة للتواصل اللغوي بين المشرق والمغرب العربيين، مجلة الحوار اليوم، http://www.alhiwartoday.net/node/4675

11– علي القاسمي، أيام الحلم والثورة، قراءة في كتاب الدكتور عثمان سعدي، مجلة العرب الأسبوعي، العدد24، 2008، ص42.مقع العرب: www.alarabonline.alarab.co.uk